الكتابة عن ذوي الهمم في التراث العربي

إعداد

د. أماني حسن الشلقاني

باحثة دكتوراه اللغة العربية كلية الآداب _ جامعة طنطا

د. أسامة محمد البحيري

أستاذ بقسم اللغة العربية كلية الآداب _جامعة طنطا

المستخلص:

اعتمدت الأمم المتحدة اتفاقية حقوق الأشخاص ذَوي الإعاقة (ذوي الهمم) في ١٣ ديسمبر ٢٠٠٦م، وتضمنت تعزيز وحماية وكفالة تمتُّع الأشخاص ذوي الإعاقة تمتُّعا كاملا على قدم المساواة مع الآخرين بجميع حقوق الإنسان، والحُريَّات الأساسية، وتعزيز احترام كرامتهم المتأصلة .

ويشمل مصطلح " الأشخاص ذوي الإعاقة " كل من يعانون من عاهات طويلة الأجل : بدنية، أو عقلية، أو ذهنية، أو حِسِّية، قد تمنعهم لدى التعامل مع الحواجز من المشاركة بصورة كاملة وفعَّالة في المجتمع على قدم المساواة مع الآخرين .

وقد كان تراثنا العربي سبّاقا في الاهتمام بذوي الهمم (أصحاب العاهات والاحتياجات الخاصة)، والكتابة عنهم، ورصد أحوالهم ومعاناتهم، والتنويه عن فضائلهم وتميزهم في جوانب الحياة المختلفة، ووصول بعضهم إلى قمم المجد والشرف والسيادة . وخُصِّصتْ كتب كثيرة للكتابة عن ذوي الهمم على اختلاف أنواعهم وتنوع إعاقتهم، فألّف " أبو عبد الرحمن الهيثم بن عَدِيّ بن عبد الرحمن الطائي الكوفي " (ت ٢٠٧ هـ) كتابه" المثالب "، تناول فيه مشاهير العرب وأشرافهم من العُميان، والعُور، والحُولان، والبرصان، والعرجان، وخصص أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ) فصلا في كتابه " المُحَبَّر " عن الأشراف من ذوي الهمم (العاهات)، وألَّف الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (١٥٩- ٢٥٥هـ) كتابه المشهور " البُرصان والعُرجان والعُميان والحُولان " للحديث عن ذوي الهمم والاحتياجات الخاصة ، وتحدث أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة قتيبة الدينوري (٢١٣-٢٧٦هـ) عن ذوي الهمم (أصحاب العاهات) من البُرص، والعُرج، والصُّم، والجُدع، والجذمَى، والحُول، والصُّلع في فصل خاص في كتابه المشهور " المعارف " ، وأشار المؤرخ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥١٠- ٥٩٧ هـ) إلى الأشراف من ذوي الهمم والعاهات المتنوعة في كتابه " تلقيح فُهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير " ، وألف أبو الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصَّفَدي (٦٩٦- ٧٦٤هـ) كتابين عن صنفين من ذوي العاهات البصرية الذين بلغوا مراتب الشرف والنباهة والسيادة : " نَكْت الهِميان في نُكت العُميان "، و " الشُّعور بالعُور "، وفي القرن العاشر الهجري ألَّف محب الدين محمد بن عبد العزيز الهاشمي المكي (ت ٩٥٤ هـ) كتابا عن ذوي الهمم الذين بلغوا مراتب الشرف والسيادة بعنوان " النُّكت الظِّراف في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف " .

ومن بين الكتب التي أُلِّفت عن ذوي الهمم في التراث العربي، يتميز كتاب (البرصان والعرجان والعميان والحولان) للجاحظ (١٥٩- ٢٥٥هـ) بدراسة ذوي الهمم بقدر كبير من التعظيم و التقدير والاحترام ، وذكرهم في صورة ناصعة مشرقة ، وأن إعاقتهم لم تمنعهم من السيادة والوصول للقمم ، وقد مهّد لذلك بسرد شواهد وآثار من أدب العرب القدامى والمعاصرين له، في الاعتزاز ببعض العاهات، والدفاع عنها، والصعود أحيانا إلى الفخر بها والتمدّح بفضائلها، وذكر تفاصيل كثيرة لأنواع الإعاقات والعاهات عندهم، وتصدَّى لمن ذمّهم أو انتقص منهم ونهب حقوقهم . فهذه الدراسة تحاول الكشف عن مكانة هذا الكتاب بين غيره من الكتب التي تناولت أصحاب العاهات والإعاقات وذوي الهمم في التراث الأدبي العربي ، فكل كتاب الكتب السابقة عليه تناول ذوي الهمم وأصحاب الإعاقات بإيجاز وإشارات بسيطة في مبحث أو باب من أبواب الكتاب ، وهذا ما جعل كتاب الجاحظ كتابًا متفردا في التراث العربي الحضاري، وموسوعة في بابه، حيث ذكر فيه كل أنواع الإعاقات، وفضائل أصحابها، ومكانتهم العالية التي وصلوا إليها مع إعاقاتهم ومعاناتهم في حياتهم، وهو ما لم يذكر في غيره من المؤلفات .

وتُعنى هذه الدراسة بتوضيح منهجية الجاحظ في كتابه (البرصان والعرجان والعميان والحولان) ، وقيمته الإنسانية والاجتماعية والحضارية، لإنصاف ذوي الهمم وأصحاب الإعاقات، ورد اعتبارهم في المجتمع ، واستدل الجاحظ بنصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ليبين لنا تميُّز الدين الإسلامي بالتعامل الإنساني الحضاري مع ذوي الهمم؛ لذا يعد كتاب الجاحظ (١٥٩- ٢٥٥هـ) عن ذوي الهمم رسالة إنسانية حضارية رائدة في التراث العربي، وأثر في الكتب التي أُلِّفت بعده في القرون التالية .

الكلمات الإفتتاحية: الكتابة عن ذوي الهمم؛ التراث العربي؛ ذوي الهمم.

حقوق ذوي الهمم (ذوي الإعاقة)

قديما وحديثا

تفاوتت الحضارات الإنسانية القديمة في نظرتها إلى ذوي الهمم (الإعاقة)، وفي تقبلها لوجودهم، وفي طريقة التعامل معهم، ومع احتياجاتهم الخاصة التي تفرضها عليهم ظروف الإعاقة المختلفة .

تميزت الحضارة المصرية القديمة بتعامل إنساني راق مع ذوي الإعاقة، وقبول وجودهم في المجتمع، وحسن التعامل معهم، وإتاحة الفرص لهم للعمل وتولي الوظائف المرموقة على اختلاف أنواعها، والمساواة بين الجميع، فلا فرق بين شخص سليم وشخص معاق إلا بالعلم وإتقان العمل . وتواترت في الأدب المصري القديم الوصايا والتعاليم التي تحض على الرفق بهم، وحسن معاملتهم، مثل وصايا الحكيم " آمنوبي " لابنه في عصر الرعامسة، خلال القرن الرابع عشر ق م، في بردية مكتوبة إبان الأسرة الحادية والعشرين يقول في الفصل الخامس والعشرين من التعاليم مطالبًا إياه بأن يرفق بذوي الاحتياجات الخاصة، وألّا يعاملهم باحتقار أو بشكل مهين، فيقول : " لا تسخر من أعمى، ولا تهزأ من قزم، ولا تحتقر الرجل الأعرج، ولا تعبس في وجوههم، فالإنسان خُلِق من طين، والله هو خالقه ، وهو قدير، يهدم ويبني كل يوم، ويخلق الألوف بأمره. ما أسعد الرجل الذي انتقل للغرب وهو آمن في يد الله"[١].

وتشير لوحات فنية كثيرة محفوظة في المتاحف العالمية ومرسومة على جدران المقابر المصرية القديمة والمعابد وفي البرديات إلى تمتُّع ذوي الإعاقة بحياتهم الطبيعية في جوانبها المختلفة،و تولِّي كثير منهم وظائف مهمة في المجتمع المصري القديم، كالحجابة، والكهانة، وتقديم القرابين، وصناعة الحلي، والعزف، والغناء، والرقص، وصناعة الترفيه، والتفتيش على الزراعة، والخدمة في القصور الملكية، والإشراف على شؤون الأمراء والأميرات في الملبس والمأكل والزينة، ووصل بعضهم إلى حكم مصر مثل الفرعون " سبتاح " الذي كان يعاني من مرض شلل الأطفال في رجله اليسرى، وهو أحد أحفاد الملك رمسيس الثاني، و حكم مصر في أواخر الأسرة التاسعة عشرة لمدة سبع سنوات[٢].

وفي الحضارات الأوروبية القديمة عومل ذوو الهمم (الإعاقة) في (إسبرطة، وأثينا، وروما) بقسوة شديدة، وجفاء صارم، على النقيض من النظرة الإنسانية والمعاملة الراقية لهم في الحضارة المصرية القديمة . فكان ينظر لذوي الإعاقة في إسبرطة وأثينا وروما – في معظم الأحيان - بوصفهم فئة شاذة منبوذة، لأن عاهاتهم وإعاقاتهم نوع من أنواع المس الشيطاني الذي يجب التخلص منه بإلقائهم في البحر، أو تركهم فوق قمم الجبال، أو إلقائهم في النهر، أو رميهم علي قارعة الطريق، وكان ذلك مسموحا به في القوانين الإسبرطية والأثينية و الرومانية، ولعل ذلك راجع إلى أن هذه الدول

---

[1] - Simpson, W.K., The Literature of Ancient Egypt: An Anthology of Stories, Instructions, Stelae, Autobiographies, and Poetry, Yale University 2003, p.241.

[٢] - يراجع : محمد إسماعيل الشافعي، العيوب الخلقية للأفراد في الفن المصري القديم حتى نهاية الدولة الحديثة، ماجستير مخطوطة ،كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٨، ص ١٠، ١٤، ٩٨، ١٠٣، ١٤١، ١٤٧، ١٤٨، وماجدة السيد جاد، العمَى : مفهومه الاجتماعي والديني في مصر القديمة، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٣، ص ٧، ٢٧، ٦٢، ٧٧، ٨٩، ٤٢٤، ٤٦٩ ، وفرونيك ديزين، الأقزام في مصر القديمة وبلاد اليونان، ترجمة د.أحمد هلال يس، دار شرقيات، القاهرة ، ٢٠٠٣ .

اعتمدت على قوة جيوشها في المقام الأول، دفاعا عن نفسها، أو غزوا لدول أخرى، فكان معيار القوة والسلامة الجسدية هو المعيار الأول في التعامل مع أفراد المجتمع، وهو جواز المرور لنيل المواطن حقوقه والتمتع بها في تلك المجتمعات المحارِبة .

لذلك سمحت قوانين " ليكورجوس " الإسبرطي (٨٠٠ – ٧٣٠ ق . م)، وتشريعات " صولون " الأثيني (٦٤٠ – ٥٦٠ ق. م) بالتخلص من ذوي الإعاقة، لأنهم غير قادرين على القيام بالعمل أو الاشتراك في الحروب . ونفى الفيلسوف الإغريقي " أفلاطون " (٤٢٧ ق.م – ٣٤٧ ق.م) ذوي الإعاقة الجسدية والعقلية خارج جمهوريته، لأن وجودهم – من وجهة نظره - إعاقة لقيام الدولة بوظيفتها، أما الخطر الأكبر علي الدولة – في رأيه- فهو السماح لهم بالتناسل، لأن ذلك يؤدي إلى إضعاف الدولة، فلا يجب أن يبقى في الدولة سوى الأذكياء، والأصحاء الأقوياء القادرين على العمل والإنتاج، والدفاع عن الدولة أو حكمها، أو غزو أعدائها .

ولم يكن يسمح بالعيش في إسبرطة إلا للمواليد الأصحاء الأقوياء، أما ذوو الإعاقة، فيتم التخلص منهم فور ولادتهم، لأنهم يمثلون – في اعتقادهم- عبئا على أنفسهم، وعلى غيرهم، ولأن الآلهة قد حرمتهم من القوة وسلامة الجسم .

وفي الحضارة الرومانية كانوا – في أغلب الأحيان - يتخلصون من الأطفال المعاقين بإلقائهم في الأنهار، أو تركهم على قمم الجبال، أو على قارعة الطريق ليلقوا مصيرهم المحتوم في ظل الظروف الجوية الصعبة[١] .

وفي العصر الحديث بدأت الدول المختلفة الانتباه إلى حقوق ذوي الهمم (الإعاقة)، ورعايتهم، فاعتمدت منظمة الأمم المتحدة اتفاقية دولية لحقوق الأشخاص ذَوي الإعاقة (ذوي الهمم) في ١٣ ديسمبر ٢٠٠٦م، وتضمنت تعزيز وحماية وكفالة تمتُّع الأشخاص ذوي الإعاقة تمتُّعا كاملا على قدم المساواة مع الآخرين بجميع حقوق الإنسان، والحُريَّات الأساسية، وتعزيز احترام كرامتهم المتأصلة . وأسهمت الاتفاقية الدولية في تدارك الحرمان الاجتماعي البالغ للأشخاص ذوي الإعاقة ، وشجعت مشاركتهم في المجالات المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، سواء في البلدان النامية أو البلدان المتقدمة في النمو .

يشمل مصطلح " الأشخاص ذوي الإعاقة " في الاتفاقية الدولية كل من يعانون من عاهات طويلة الأجل : بدنية، أو عقلية، أو ذهنية، أو حِسِّية، قد تمنعهم لدى التعامل مع مختلف الحواجز من المشاركة بصورة كاملة وفعَّالة في المجتمع على قدم المساواة مع الآخرين .

---

[١] - يراجع :
بديع عبد العزيز القشاعلة، الأساس في التربية الخاصة، دار الهدى، الأردن، ٢٠١٧، ص ٢٤- ٢٦ ، وفرونيك ديزين، الأقزام في مصر القديمة وبلاد اليونان، ترجمة د أحمد هلال يس (مرجع سابق)، وسلوى حسين محمد، الجروتيسك في العصرين اليوناني والروماني، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٢ ، ص ٤ – ٩ .

واشتملت الاتفاقية الدولية لحقوق ذوي الإعاقة في مادتها الثالثة على حقوق ومبادئ مهمة، هي:

١- احترام كرامة الأشخاص المتأصلة، واستقلالهم الذاتي، بما في ذلك حرية تقرير خياراتهم بأنفسهم واستقلاليتهم .
٢- عدم التمييز .
٣- كفالة مشاركة وإشراك الأشخاص ذوي الإعاقة بصورة كاملة وفعالة في المجتمع .
٤- احترام الفوارق، وقبول الأشخاص ذوي الإعاقة بوصفهم جزءا من التنوع البشري والطبيعة البشرية .
٥- تكافؤ الفرص .
٦- إمكانية الوصول .
٧- المساواة بين الرجل والمرأة .
٨- احترام القدرات المتطورة للأطفال ذوي الإعاقة ، واحترام حقهم في الحفاظ على هويتهم .

ودَعت الاتفاقية دول العالم إلى اتخاذ جميع التدابير التشريعية والإدارية الملائمة لإنفاذ بنودها، وتعديل أو إلغاء ما يوجد من قوانين ولوائح وأعراف وممارسات وسياسات تشكل تمييزا ضد الأشخاص ذوي الإعاقة في المؤسسات الحكومية أو الخاصة[١] .

معاملة ذوي الإعاقة

في التراث العربي

كان المجتمع العربي في العصر الجاهلي مجتمعا قبليا ذُكوريا في أغلب البوادي والحواضر العربية، يعتمد على الرجال الأشداء الأقوياء في الدفاع عن القبيلة، أو الإغارة على أعدائها، فكان أهل الجاهلية " لا يورثون النساء، ولا الصغير – وإن كان ذكرا- ويقولون : لا يُعطَى إلا من قاتلَ على ظهور الخيل، وطاعن بالرمح، وضارب بالسيف، وحاز الغنيمة "[٢]

فكانت القوة والسلامة الجسدية معيارا للتكريم والتشريف، لذا منعت الإعاقة – في أحيان كثيرة – أصحابها من بعض الحقوق، لأنهم لا يشاركون في حروب القبيلة هجوما أو دفاعا، وقد يأنف الملوك والسادات من مجالسة ذوي الإعاقة، أو مؤاكلتهم، فيروي الجاحظ عن ملك الحيرة عمرو بن هند : " وكان الملك لا يملأ عينه من رجل به بلاء "[٣]

ولكن حق الحياة والإعاشة كان مكفولا لذوي الإعاقة في المجتمع الجاهلي، ووصل عدد كبير منهم إلى مراتب عالية في المُلك والسيادة والشرف، وأشار إلى ذلك كثير ممن كتبوا عن أحوال ذوي الإعاقة في التراث العربي .

فلما جاء الإسلام رعى ذوي الهمم (الإعاقة) واهتم بشئونهم، وأوصى بالرفق بهم، ورفع الحرج والتخفيف عنهم، فأمر القرآن الكريم بإسقاط التكليف بالجهاد أو النفقة في سبيل الله عن الضعفاء والمرضى وذوي الإعاقة : ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴿٦١﴾﴾(سورة النور : الآية ٦١) .

---

[١] - يراجع : الأمم المتحدة، اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، مكتب المفوض السامي .
https;www.un.org

[٢] - يراجع : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧، ٥ / ٢٣ .

[٣] - الجاحظ، البرصان والعرجان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ص ٥٣ ، والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ١٢ / ٣١٤.

وقال تعالى : ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ (سورة التوبة : الآية ٩١) ، فهذه الآيات الكريمة أصل في سقوط التكليف عن العاجز، فكل من عجز عن شيء سقط عنه[١] .

وكثرت الأحاديث النبوية التي توصي بالضعفاء والمرضى وذوي الإعاقة، وتدعو إلى الرفق بهم، ورعايتهم والاهتمام بتوفير احتياجاتهم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " ابغوني ضعفاءكم، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم "[٢]

وكان عبد الله بن أم مكتوم (المتوفى سنة ١٥ هـ) – مع إصابته بالعمى- مؤذنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته على المدينة المنورة مرتين يصلي بالناس ، واختار الرسول صلى الله عليه وسلم معاذا بن جبل (١٨ق. هـ - ١٨ هـ) - وهو أعرج- قاضيا وأميرا على اليمن، فلم تمنعه إعاقته عن تولّي المناصب الرفيعة .

وسار الخلفاء الراشدون ومن بعدهم على الهَدْي النبوي في الرفق بذوي الإعاقة، وتوفير احتياجاتهم، فقد فرض الفاروق عمر بن الخطاب (٤٠ ق. هـ - ٢٣ هـ) لذوي الإعاقة والضعفاء راتبا في بيت مال المسلمين حماية لهم من ذُلّ التسوّل . و أنشأ الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٤٨ – ٩٦ هـ) في عام ٨٨ هجرية أول مشفى خاص بذوي الإعاقة، ورتّب له الأطباء، وأجرى لهم النفقات والأرزاق، وأمر بحبس المجذومين في مكان محدد في ضواحي دمشق يعالجون فيه، ولا يخرجون منه لئلا تنتشر العدوى . وأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز (٦١ – ١٠١ هـ) ولاته بإحصاء ذوي الإعاقة، وتخصيص دليل يرافق كل كفيف، وخادم لكل مُقْعَد . وبنى الخليفة العباسي المأمون (١٧٠ – ٢١٨ هـ) في بغداد مشفىً للمكفوفين، ومأوى للمجذومين، وملجأ للعجزة والضعفاء . ويروي الرحالة ابن بطوطة أنه شاهد في بغداد عناية بالغة بذوي الإعاقة، فكان يؤمر لكل أعمى بكسوة وغلام يقوده، وبنفقة تُجرَى عليه . وفي مصر والشام أنشأ السلطان المملوكي المنصورسيف الدين قلاوون الألفي (٦٢٣- ٦٨٩ هـ) البيمارستان المنصوري عام ٦٨٣هـ ، وكان يحتوي على أقسام خاصة بعلاج ذوي الإعاقة، وخصصوا لها أوقافا يصرف من ريعها على نفقات المرضى، ورواتب الأطباء، والخدم، وتكاليف السكن، والغذاء، واللباس، والعلاج، والتعليم .

وكفلت الشريعة الإسلامية لذوي الإعاقة احترام كرامتهم، وحفظها، والاستقلالية الفردية، وحرية الاختيار، وعدم التمييز ضدهم، وتكافؤ الفرص مع غيرهم على قدم المساواة، ودمجهم في الأنشطة التي تناسبهم ، وتهيئة البيئة المكانية والاجتماعية التي تيسر قضاء حوائجهم . وبهذا تعد معاملة ذوي الإعاقة في الحضارة الإسلامية سبقا حضاريا مميزا، وتضاهي أرقى النظم المعاصرة بامتيازاتها، بل تتفوق عليها من جهة كونها مبادئ واقعية قابلة للتجسيد والتكيف حسب مقتضيات الزمان والمكان، إلى جانب اعتبارها ذات خاصية روحية إيمانية تصل ذوي الإعاقة بالبعد الأخروي، وبالخالق – عز وجل – مما يصرف مشاعرهم إلى وجهة إيجابية، ويخفف من وطأة الإصابة عليهم[٣]

---

[١] - يراجع : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٨ / ٢٢٦ .

[٢] - رواه أبو الدرداء، في سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب في الانتصار برذل الخيل والضعفة، حديث رقم ٢٥٩٤، وأخرجه الترمذي في سننه، حديث رقم ١٧٩٧، والنسائي في سننه، حديث رقم ٣١٧٩، وورد في مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم ٢١٧٣١، وفي صحيح ابن حبان، حديث رقم ٤٧٦٧، وورد في البخاري حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم "، حديث رقم ٢٨٩٦ .

[٣] - يراجع :

بلقاسم محمد الغالي، الإعاقة في منظور الإسلام، المؤتمر العلمي الرابع : رعاية الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة، كلية الشريعة، جامعة جرش، الأردن، ٢٠٠٢، ص ١٤، ١٥ .

ماهر أحمد راتب السوسي، ومحمد كمال صابر السوسي، حقوق الجرحى وذوي الإعاقة في الشريعة الإسلامية، مؤتمر فلسطين للجرحى وذوي الإعاقة، الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية بغزة، ٢٠١٦، ص ١٣، ١٤ .

أحمد شوكت الشطي، المدارس والمشافي الطبية في الإسلام، مجلة حضارة الإسلام، مجلد ١٨، عدد ١، دمشق، ١٩٧٧، ص ١٥، ١٦ .

أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١١، ص ٥٥ – ٧٨ .

الكتابة عن ذوي الإعاقة

في التراث العربي

كان تراثنا العربي سبّاقا في الاهتمام بذوي الهمم (أصحاب الإعاقة والعاهات والاحتياجات الخاصة)، والكتابة عنهم، ورصد أحوالهم ومعاناتهم، والتنويه عن فضائلهم وتميزهم في جوانب الحياة المختلفة، ووصول بعضهم إلى قمم المجد والشرف والسيادة . وخُصِّصتْ كتب كثيرة للكتابة عن ذوي الهمم على اختلاف أنواعهم وتنوع إعاقاتهم .

بدأ الاهتمام العلمي بذوي الإعاقة بتتبع أحوالهم في الجاهلية والإسلام، ورواية أخبارهم، وتناقلها جيلا بعد جيل حتى بدأ عصر التأليف العلمي في القرن الثاني الهجري، فصنّف " أبو عبد الرحمن الهيثم بن عَدِيّ بن عبد الرحمن بن زيد بن أُسيد بن جابر الثَّعلبي الطائي الكوفي المؤرخ " (المولود قبل سنة ١٣٠هـ ، والمتوفّى سنة ٢٠٧ هـ) كتابه " المثالب "، تناول فيه – بإيجاز – المعايب والمثالب التي تنسب إلى مشاهير العرب في الجاهلية والإسلام، في عدة أبواب لم يصل إلينا منها إلا القليل، مثل : باب من كان قَيْنًا في الجاهلية، وباب أدعياء الجاهلية، وباب من وُلد على فراش أبيه في الجاهلية، ويقال هو لغير أبيه، وباب من دفع في الإسلام ثم أقر به، وباب فيمن كانت المجوسية واليهودية والنصرانية والزندقة في قبائل العرب، وباب الشَّدَّادين من الأشراف وهم الزُّناة[١].

وسلك الهيثم في كتابه مسلك التشهير والتشنيع، والاعتماد في معظم ما أورده في الكتاب على روايات مكذوبة أو ضعيفة ، وروى عن رواة اتهمهم علماء الجرح والتعديل بالوضع والكذب . وأورد الهيثم بن عدي ضمن كتابه – فيما نقله الجاحظ في كتابه البرصان والعرجان والحولان والعميان - عددا من أشراف العرب من العُميان، والعُور، والحُولان، والبرصان، والعرجان، ولكنه اقتصر على ذكر الأسماء والعاهات التي أصيبوا بها فقط دون ذكر تفاصيل أو أخبار، وأورد العاهات على أنها معايب ومثالب لأصحابها، حتى إن الجاحظ اعترض على منهجه وطريقته في التأليف في هذا الموضوع قائلا : " وقد خفت أن تكون مسألتك إياي كتابا في تسمية العُرجان، والبرصان، والعميان، والصمان، والحولان ، من الباب الذي نهيتُك عنه، وزهَّدتُك فيه . وذكرتَ لي كتاب الهيثم بن عدي في ذلك، وقد خبَّرتك أني لم أرض مذهبه، ولم أحبه له حظا في حياته، ولا لولده بعد مماته "[٢] .

واتجه أصحاب الكتب الموسوعية المتنوعة إلى تضمين كتبهم فصولا في الحديث عن ذوي الهمم من مشاهير العرب في الجاهلية والإسلام ، فخصص أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ) فصولا في كتابه " المُحَبَّر " عن الأشراف من ذوي الهمم (العاهات)، فذكر من فقئت عينه من الأشراف في الحرب، و أشراف العميان، والبُرص من الأشراف،

مهند العزة، موقف الشريعة الإسلامية من الأشخاص ذوي الإعاقة، المؤتمر العلمي : المتلازمات النادرة المرتبطة بالإعاقة، مجلة المنال، الأردن، ١ / ٧ / ٢٠١٩ (موقع المجلة على النت) .

[١] - الهيثم بن عدي، كتاب المثالب، تحقيق عصام مصطفى عقلة، ومحمد عبد القادر خريسات، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، مجلد ٤، عدد ٣، ٢٠١٠، ص ٢٣ – ٤٥ .

[٢] - الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧ ، ص ٣٠، ٣١ .

والعوران من الأشراف، والحولان من الأشراف، والفُقم والعُرجان والكواسجة الثُّط منهم ، ولكنه اقتصر على ذكر الأسماء فقط، وسردها دون تفاصيل أو أخبار أو شواهد شعرية أو نثرية[١].

وضمّن أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣- ٢٧٦ هـ) كتابه الموسوعي " المعارف " فصولا في ذوي الهمم (العاهات)، بدأها بفصل " أهل العاهات "، وسرد فيه المشاهير من أصحاب العاهات الكثيرة، وذكر منهم : عطاء بن أبي رباح، وأبان بن عثمان بن عفان، ومسروق بن الأجدع، والأحنف بن قيس، وأبا الأسود الدؤلي، وعمرو بن عمرو بن عُدس، والأقرع بن حابس، وعُبيدة السَّلماني . ويسرد بعد ذكر كل اسم العاهات التي ابتلي بها، فيقول: "عطاء بن أبي رباح : " كان أسود، أعور، أشلّ، أفطس، أعرج، ثم عمي بعد ذلك... أبو الأسود الدؤلي، وكان أعرج، مفلوجا ، أبخر "[٢]

ثم ذكر بعد ذلك أسماء المشاهير الذين ابتلوا بعاهة واحدة كالبُرص، والعُرج، والصُّم، والجُدع، والجَذْمَى، والحُول، والزُّرق، والصُّلع، والكواسج، والفُقم، والبُخر، والعُور، والمكافيف (العميان)[٣].

وخصص أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (المتوفى سنة ٣٨٣هـ) في كتابه الموسوعي " مفيد العلوم ومبيد الهموم " ثلاثة أبواب عن ذوي الهمم ممن ابتلوا بالعاهات المختلفة من العامة والخاصة، من أبواب كتاب التواريخ في موسوعته " مفيد العلوم ومبيد الهموم " ، وأفاد فيها مما ذكره ابن حبيب في كتابه المحبر، وابن قتيبة في كتابه المعارف . ذكر أبو بكر الخوارزمي في الباب الحادي عشر ذوي العاهات ، وخصص الكلام في أثناء الباب عن العميان من الأنبياء (شعيب وإسحاق عليهما السلام ، والعميان من سادات العرب في الجاهلية، والعميان من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين[٤].

وذكر أبو بكر الخوارزمي في الباب الثاني عشر عاهات الأشراف العور، فذكر منهم كسرى أنو شروان من ملوك الفرس، وذكر أمية بن عبد شمس من أشراف قريش في الجاهلية، وذكر عددا من الصحابة والتابعين العور ، ومن فقدوا أعينهم في الحروب كأبي سفيان بن حرب ، وعدي بن حاتم الطائي وغيرهم[٥]

وتحدث في الباب الثالث عشر عن بقية العاهات، ومن أصيب بها من الأشراف والملوك، والأمراء، والصحابة، والتابعين ، كالحُول، والصُّلع، والعُرج، والبُرص، ومن اجتمع فيه عدة عاهات مثل أبان بن عثمان بن عفان، وعطاء بن أبي رباح، وأبي الأسود الدؤلي، والأقرع بن حابس، وأفاد في هذا الباب من كتاب المعارف لابن قتيبة[٦]

وتحدث أبو العباس أحمد بن علي بن بابه القاشي (المتوفى سنة ٥١٠ هـ) في كتابه " رأس مال النديم في تواريخ أعيان أهل الإسلام " في فصلين من كتابه عن نوعين من ذوي الهمم، فنقل عن

---

[١] - أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، المُحَبَّر، تصحيح إيلزا شتيتر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٤٢، ص ٢٦١، ٢٩٦ ــ ٣٠٥ .

[٢] - ابن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٢١، ص ٥٧٨، ٥٧٩ .

[٣] - ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٨٠ ــ ٥٨٧ .

[٤] - أبو بكر الخوارزمي، مفيد العلوم ومبيد الهموم، دار التقدم، القاهرة، ١٣٢٣هـ ، ١٩٠٦م، ص ٣٢٦ - ٣٢٨. ويراجع : ابن حبيب، المحبر، ص ٢٩٦، وابن قتيبة، المعارف، ٥٨٥ ــ ٥٨٧ .

[٥] - أبو بكر الخوارزمي، مفيد العلوم : ص ٣٢٧ . ويراجع : ابن حبيب ، المحبر، ص ٢٦١ .

[٦] - أبو بكر الخوارزمي، مفيد العلوم، ص ٣٢٨ ، ويراجع : ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٧٨ ــ ٥٨٥ .

كتاب المحبر لابن حبيب فصل " من فقئت عينه من الأشراف في الحرب " ، وسماه " من ذهبت عينه في الحرب من الأشراف" ، وذكر فيه عددا من المشاهير من الصحابة والتابعين والقواد الذين فقدوا أعينهم في المعارك[١].

ثم ذكر ابن بابه فصلا عنوانه " أشراف العميان "، ونقل عنوان الفصل ومحتوياته من كتاب المحبر لابن حبيب، وزاد بعض الأسماء من كتاب المعارف في الفصل الذي سماه ابن قتيبة " المكافيف "[٢] .

وألف الحافظ محمد بن أيوب بن غالب الأندلسي (المتوفى ٥٧١ هـ) كتابه " فرحة الأنفس في أخبار الأندلس "، وقسمه إلى فصول في فضل الأندلس، ومدنها، وجغرافيتها، والمشاهير من أعلامها وعلمائها ، وضمن الكتاب فصلا عن مشاهير الأندلسيين الذين أصيبوا بفقدان البصر، وسماه " فرحة الأنفس في فضلاء العُمي من علماء الأندلس " ، ونشر الدكتور لطفي عبد البديع عام ١٩٥٥ قطعة باقية من الكتاب عن مدن الأندلس في المجلد الأول من مجلة معهد المخطوطات[٣] .

وأشار المؤرخ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥١٠- ٥٩٧ هـ) إلى الأشراف من ذوي الهمم (العاهات) المتنوعة في كتابه " تلقيح فُهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير " ، فكتب فصلا عنوانه " تسمية العميان الأشراف " ذكر فيه من الأنبياء : شعيب، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام، وذكر من الأشراف العميان : عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وزهير بن كلاب، وكلاب بن مرة ، ومطعم بن عدي، ثم ذكر عددا من الصحابة والتابعين الذين أصيبوا بالعمى[٤].

وأفاد من كتابي المحبر لابن حبيب، والمعارف لابن قتيبة، فنقل عنهما دون إشارة عدة فصول : في تسمية العوران الأشراف، وتسمية من ذهبت عينه في الحرب، وتسمية الحولان من الأشراف، وتسمية الزُّرق الأشراف، وتسمية الفُقم (ميل أحد الفكين وقصر الآخر فلا يتطابقان إذا أقفل الفم) ، وتسمية الصُّم، وتسمية الجُدع، وتسمية العُرج، وتسمية الصُّلع، وتسمية الكواسج، وتسمية البُرص، وتسمية البُخر، وتسمية الجَذْمى، وتسمية السودان الأشراف، وتسمية من اجتمعت فيه عاهات[٥].

ويعد كتاب " البُرصان والعُرجان والعُميان والحُولان " للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي (١٥٩ – ٢٥٥ هـ) أول كتاب متخصص في الكتابة عن ذوي الهمم (ذوي العاهات) في التراث العربي، لأن كتاب " المثالب " للهيثم بن عدي – كما ذكرنا سابقا - لم يقتصر على ذكر ذوي العاهات من أشراف العرب فقط، وإنما ضم أبوابا كثيرة في التشنيع علي قبائل العرب وأشرافهم، وذكر مثالبهم ومعايبهم الخلقية والدينية والجسمية، ولم يذكر ذوي العاهات إلا في الصفحات الثلاث التي نقلها الجاحظ في كتابه، ولا تشتمل إلا على سرد عدد من أسماء أشراف العرب

---

[١] - أحمد بن علي بن بابه القاشي، رأسمال النديم في تواريخ أعيان أهل الإسلام، تحقيق د محمد عبد القادر خريسات، مركز زايد للتراث، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠١ ، ص ٤٢، ويراجع : ابن حبيب ، المحبر، ص ٢٦١ .

[٢] - ابن بابه، رأسمال النديم، ص ٥٦، ويراجع : ابن حبيب ، المحبر، ص ٢٩٦، وابن قتيبة، المعارف، ص ٥٨٧ – ٥٨٩ .

[٣] - محمد بن غالب الأندلسي، فرحة الأنفس في فضلاء العمي من علماء الأندلس، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الأول ، رمضان ١٣٧٤هـ ، مايو ، ١٩٥٥، ص ٢٧٢ – ٣٠١ .

[٤] - عبد الرحمن بن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير، تصحيح علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٣٩٤هـ ، ص ٤٤٦ .

[٥] - ابن الجوزي ، تلقيح فهوم أهل الأثر، ص ٤٤٦ – ٤٥٠ ، ويراجع : ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦١، ٢٩٦ – ٣٠٥ ، ٣٠٥ ، وابن قتيبة، المعارف، ص ٥٧٨ - ٥٨٧ .

الذين أصيبوا بالعاهات، وظن د. محمد مرسي الخولي أن هذه الصفحات القليلة قد تكون هي كتاب المثالب كاملا، أو تلخيص موجز لكتاب المثالب للهيثم بن عدي[١] .

لم يذكر الجاحظ في كتابه " البرصان والعرجان " العيوب والعاهات نعيًا على أصحابها، وتشهيرا بهم، وإنما أراد أن يرسم صورة ناصعة مشرقة لذوي العاهات من أشراف العرب الذين لم تكن عاهاتهم تحول بينهم وبين تسنم الذرى والمكانة العالية ؛ فذكر شواهد وآثارًا من أدب العرب القدامى والمعاصرين له في الاعتزاز ببعض العاهات والدفاع عنها والتمدح بها ، ونظر نظرة كرم وعزاء منه لمن تلقى هذه العاهات بالصبر أو السخط حينما أشار أن لهم ذِمة وميثاقا عند من يطّلعون على عوراتهم وعيوبهم من الأطباء الذين يظهرون على شتى العيوب الباطنة السرية ، وكذلك المغسلون الذين يطلعون على هنات الموتى، ثم يسوق الجاحظ نموذجًا من كتاب الهيثم بن عدي في العرجان، ليس فيه إلا سرد أسماء من ذكرهم من العرج الأشراف ، فيتضح أن الجاحظ اطلع على كتاب الهيثم بن عدي قبل تأليف كتابه، ولم يرض طريقته في ثلبهم وذكر معايبهم، ولكن الجاحظ برهن على أن أصحاب هذه العاهات قد يبلغون ما لا يبلغه الأصحاء ، وكان مذهبه في هذا الكتاب الفذ أن يجعله ذريعة إلى بيان نظرة العرب في أدبهم وأشعارهم إلى هؤلاء القوم الذين كتبت عليهم العاهة، وتعاملهم الإنسانيّ الرفيع معهم بالقول والفعل، والذي قد يصل إلى الإسراف في مدحهم إياهم بما بدا عليهم من تلك المظاهر أو استتر[٢].

ويتضح أن الجاحظ تعامل مع أصحاب هذه العاهات من منظور إنساني حضاري، على عكس الهيثم بن عدي الذي تعامل معهم من منظور السخرية والإدانة والتشهير، بدليل قوله للشخص الذي طلب منه تأليف هذا الكتاب : " وقد خفت أن تكون مسألتك إياي كتابا في تسمية العرجان والبرصان، والعميان والصمان والحولان، من الباب الذي نهيتك عنه وزهّدتك فيه، وذكرت لي كتاب الهيثم بن عدي في ذلك، وقد خبّرتك أني لم أرض مذهبه، ولم أحبه له حظا في حياته، ولا لولده بعد مماته"[٣].

فهو هنا يحدث صاحبه ويبغض له كتاب الهيثم بن عدي الذي وصف أصحاب العاهات والمعاقين بالمثالب والعيوب ونظر لهم نظرة دونية ، وهذا ما دفع الجاحظ لتأليف كتابه ردًا على ما قاله الهيثم بن عدي في كتابه (المثالب) مؤكدًا أن هؤلاء من سادة القوم وأشرافهم، ونظر لهم نظرة إنسانية تحمل الكثير من الاحترام والتقدير وهذه النظرة تصدر عن حس إنساني مرهف، راعى فيها مشاعر المعاقين وأحاسيسهم ، وقدَّم لهم الدعم الاجتماعي والنفسي في رؤية جاحظية فريدة تدل على امتلاك الجاحظ الخبرة الكافية في معالجة النفوس ومعرفته بما يؤثر فيها من الأثر الإيجابي الذي يحقق لها الخير والمنفعة، بالإضافة إلى تعمده في تغيير صورتها النمطية بين الناس في المجتمع؛ لذا يقول : " والعرج الأشراف- أبقاك الله- كثير، والعمي الأشراف أكثر ،وأنّ جماعة فيهم كانوا يبلغون مع العرج ما لا يبلغه عامّة الأصحّاء، ومع العمي يدركون ما لا يدرك أكثر البصراء"[٤]، وأن هؤلاء لم يختاروا لأنفسهم تلك العلل والأمراض ، وأن هذه العلل ليست عيبًا فيهم ولا تنقص منهم شيئًا ، كما نظر لهم نظرة مشرقة ، وقد مهّد لذلك بسرد شواهد وآثار من أدب العرب القدامى والمعاصرين له في الاعتزاز ببعض العاهات والدفاع عنها والصعود أحيانا إلى الفخر بها والتمدّح، وصدق الانتماء"[٥].وهذا يوضح يوضح القيمة الإنسانية التي يتوخاها الجاحظ من تأليفه هذا الكتاب.

---

[١] - الجاحظ، البرصان والعرجان، تحقيق محمد مرسي الخولي، (مقدمة التحقيق)، دار الاعتصام، بيروت، القاهرة ، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢ م، ص ٧ .

[٢] - يُنظر: الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل – بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، (مقدمة التحقيق) ص ١٤-١٦.

[٣] - الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ،مرجع سابق ، ص١٥.

[٤] - المرجع السابق ، ص٣٥.

[٥] - الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ،مرجع سابق ، ص١٥، ويُنظر: عباس عباس ، الجاحظ وذوو الاحتياجات الخاصة كتاب (البرصان والعرجان والعميان) دراسة وتحليل ، الجامعة العربية المفتوحة ، الأردن، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد٤٩، ع٥، ٢٠٢٢م.

ونظرًا لما يتسم به الجاحظ في منهجيته وموارده بتمتعه بموسوعية ثقافية متعددة المجالات والأغراض والاتجاهات نتيجة كثرة مطالعته لكثير من الكتب ، وذاعت شهرته في كافة ميادين العلم والمعرفة؛ خاصة في كتاباته التاريخية والأدبية والاجتماعية ، فهو قد أدخل نوعًا جديدًا في الأدب العربي وهو تصوير أخلاق الناس وتنوع أطياف المجتمع الإسلامي في حياتهم العادية ؛ لأنه يدرك أن الواقع الاجتماعي المتنوع عنصر مهم في التطور الإنساني.

- **منهجية الجاحظ في كتابه (البرصان والعرجان والعميان والحولان) :**

- اتبع الجاحظ أسلوب المفارقة للدلالة على أن النظر للشيء الظاهر لا يعني بالضرورة حقيقة ما يظهر، بل قد تكمن حقائق أخرى لا يدركها المتلقي إلا بالتفكر والتأمل في الشيء، فمع أن الشيء قد يحمل في بنيته السطحية عللا وأضرار إلا أنه يحمل في بنيته العميقة فوائد كثيرة ، فمثلًا يقول الجاحظ في ذوي العاهات : "... وإلى فوائد أخبار في أولئك العميان، وإلى أنّ جماعة فيهم كانوا يبلغون مع العرج مالا يبلغه عامّة الأصحّاء، ومع العمي يدركون ما لا يدرك أكثر البصراء"[١].

- اتبع في وصفه لكل عاهة من العاهات ذكر ما قاله الأطباء في أصلها ، وسبب تسميتها ، وأنواعها ، وأسبابها ، ومحاولات العرب في علاجها ، فأسلوب الجاحظ هنا لم يكن أسلوب سرد أو تشهير ، بل كان الغرض منه إظهار نظرة العرب لأصحاب هذه العاهات ، وتعاملهم الإنساني معهم قولاً وفعلًا حتى إنهم كانوا يمدحونهم بعاهاتهم التي أصيبوا بها، فنجده يذكر في (البرص والبرصان) توضيح درجات البرص، واختلاف المسميات حسب درجة البرص، فمنهم من يسمى بالأبلق ، والأبرش، والبهق، والرقط، واللَّطع ، والوضح وهو كناية عن البياض ، ثم يقارن بين نظرة العرب ونظرة الفُرْس وهم أشد نفارًا من البرص فيقول: " وإذا كان الأعرابيّ يعتريه البرص فيجعله زيادة في الجمال، ودليلا على المجد، فما ظنّك بقوله في العرج والعمى وهما لا يستقذران ولا يتقزّز منهما ولا يعديان ولا يظنّ ذلك بهما، ولا ينقصان من تدبير، ولا يمنعان من سؤدد... قالوا: والبرص أصله من البلغم، وإذا رأيت الرجل القضيف اليابس أبرص الجلد فاعلم أن المرّة هي التي اعتصرت بدنه حتّى قذفت بالبلغم ومجّته في ظاهر جسده، فلمّا لم يقو ذلك المكان على إنفاذه وهضمه تحيّر هناك فأفسد ما هناك ، وربّما كان من حرق النار، وربّما كان من الكيّ... والفرس أشدّ نفارا من البرص، والدليل على ذلك: ما خبّرتك به من شدّته وامتناع التخلّص منه، قوله تعالى : " وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله (سورة آل عمران : الآية ٤٩) ، وإلى إبراء الأكمه - وهو الأعمى المطموس- ولم يذكر غير ذلك من جميع الأدواء والمَعَاضل والعِلل الموئسة"[٢].

- خاطب الجاحظ القارئ ببعض حكايات أصحاب العاهات والإعاقات، وتوضيح حالاتهم وكيفية علاجهم، ومواضع الفائدة والاعتبار في أخبارهم وكلامهم فيقول :" ولو ذكرنا- حفظك الله- أنّه ممّن سقي بطنه ، عثمان بن أبي العاص، وعمران بن الحصين، ... وفلان وفلان، ثم لم نذكر حسن عزائهم، ونوادر كلامهم عند نزول تلك الحوادث، وعند توقّع الفرج من تلك المضايق، وأي شيء كرهوا من أصناف العلاج وحرّموه، وأيّ شيء استجازوه واستحلّوه، والذي رووا من الأحاديث في ذلك الداء، والروايات في ذلك الدواء،وكيف كانت تعزية العائد وجواب المعود، وكيف كان دعاؤهم، وبأي ضرب من الكلام كان ابتهالهم، فإنّ ذلك عظة لمن سمعه، وأدب لمن وعاه، وصلاح لمن استعمله، فمن لم يذكر هذه العلل لذكر هذه الفوائد لم يكن ذكره لزمانة قوم أشراف بالمحمود، ولا تنويهه قوما بادوا مستورين بالمرضيّ"[٣].

- ذكر الجاحظ أنواعا كثيرة من ذوي الإعاقة، وتعجب ممن يحقرون ويعظمون الأشخاص وفقًا لصفاتهم الجسدية ، ويمدحون الرؤوس بالعِظَم ، ويذموها بالصغر ، وما يقولون في الطول والقصر ، وما قالوا في الأجلح والأنزع (أي الذي انحسر شعره عن جانبي جبهته فإذا زاد فهو أجلح) فيقول :

---

[١] - الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ، مرجع سابق،ص ٣٥.
[٢] - المرجع سابق ، ص٣٧، ٦٩، ٨٥، ١٠٦، ١١٤.
[٣] - نفسه ، ص٣٥.

"وسألتني أن أبدأ بذكر البرصان، وأثنّي بذكر العرجان، ثم أذكر ما قالوا في الأيمن والأعسر، وفي الأضبط، وفي كل أعسر أيسر، واختلاف طبائع الحيوان في ذلك مع اختلاف حالات البشر في الصّغر والكبر، وكيف القول في الأشلّ والأقطع ، وفي الأضجم والأفقم (الذي اعوج أنفه مائلا إلى أحد جانبي الوجه، والأفقم: الذي خرج أسفل لحيه ودخل أعلاه إلى الخلف)، وفي صاحب اللّقوة والأشدق(اللقوة، بالفتح: داء في الوجه يعوّج منه الشدق. والأشدق: العريض الشدق الواسعة المائلة)، وفي سعة الأفواة وضيقها، وفي عظم الأنوف وصغرها، وكيف مدحوا الرؤوس بالعظم، وذمّوها بالصّغر، وما قالوا في الدّمامة والنّبالة، وفي القصر والطّول، ثم الّذي قالوا في الأجلح والأنزع (الأنزع: الذي انحسر شعره عن جانبي جبهته. فإذا زاد فهو أجلح)، وفي الأصلع والأقرع، وفي الأزعر والأمعر. وما قالوا في الثّطّ والسّنوط(الثّطّ: القليل شعر اللحية والسّنوط: الذي لا شعر في وجهه البتّة)، وفي الأحدب والأعلم (الحدب: دخول الصدر وخروج الظهر. والعلم: الشق في الشفة السفلى، ويقابله الفلح، بالحاء المهملة، يكون في الشفة العليا)، وفي الآدر والأفقح (الآدر: العظيم الخصية من فتق أو من غير فتق. والأفقح: يعنى به الواسع حلقة الدبر)، وما ذكروا به الأعضاء ووصفوا به الجوارح"[١].

- عظّم الجاحظ شأن أصحاب العاهات، ونوّه بافتخارهم بما أصابهم، ، فمنهم من فخر بالعمى ، واحتجَّ بالعَرج، فيقول : "وإذا كان الأعرابيّ يعتريه البرص فيجعله زيادة في الجمال، ودليلا على المجد، فما ظنّك بقوله في العرج والعمى وهما لا يستقذران ولا يتقزّز منهما ولا يعديان ولا يظنّ ذلك بهما، ولا ينقصان من تدبير، ولا يمنعان من سؤدد ... ويكون الأعرابيّ شختا (الدقيق من كل شيء) مهزولا ، ومقرقما (البطيء الشباب الذي لا يشب) ضئيلا ، فيجعل ذلك دليلا على كرم أعراقه، وشرف ولادته،وقال الأصمعيّ: قلت لغلام أعرابيّ: مالي أراك ضعيفا نحيفا، وصغير الجسم قليلا مهزولا؟ قال: قرقمني العزّ"[٢].

- لجأ الجاحظ إلى الجانب النفسي، فبشّر أصحاب العاهات بما ينالون من الأجر والثواب يوم القيامة، ومكانتهم عالية بفضل ابتلاءاتهم، واستشهد على ذلك بأحاديث نبوية، وأخبارا عن المشاهير من ذوي العاهات، منها ما أورده في أخبار ابتلاء أبي أسيد عمرو بن هدّاب المازني عندما مدحه أبو الشّعثاء العنزي بقوله : " كانوا عنده والناس يعزُّونه على ذهاب بصره إذ مَثُل أبو عتَّابٍ الجرِّار بين يديه، وهو مثل المحجوم (الذي وضع على فمه الحِجام لئلا يعض)... فقال: يا أبا أسيد، لا تحزن على ذهابهما، فإنّك لو قد رأيت ثوابهما في ميزانك لتمنّيت أن يكون الله قد قطع يديك ورجليك، ودقَّ ظهرك، وأدمى ظِلْفك"[٣].

- تميز الجاحظ في منهجه بالإنصاف والحيادية في الدفاع عن أصحاب العاهات، ولام الذي يعيرونهم بعلتهم أو ضعف جسدهم ، يتضح ذلك في تعليقه على هجاء بعض البغداديين وهو عيسى بن زينب المراكبي لعمرو بن بانة المغني المصاب بالبرص ، فيقول :(من المتقارب) "

أقول وقد مرَّ عمروٌ بنا فسلّم تسليمة جافية

لئن تاه عمروٌ بحُسنِ الغنا لقد فضّل الله بالعافية

بئس ما قال؛ لأنه ذهب مذهب التعيير، فعيَّر بشيءٍ لعلّه ينزلُ به، وكذلك عاب قول الشاعر الذي عيَّر شيخًا بضعف جسمه ونحله في قوله : وضاق عنه جلده الفضفاض ، كما حذّر الجاحظ من ذكر مثالب الآخرين ومعايرتهم، واستشهد على ذلك بقول الأصمعي : سمعت الأصمعيّ وقد سأله رجل عن

---

[١] - الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، مرجع سابق ، ص ٣٦، ويُنظر : مصطفى سامي نافع الكبيسي ، منهجية الجاحظ وموارده في كتابه البرصان والعرجان والعُميان والحُولان ، دائرة البحوث والدراسات ، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة (٢٥٤) ، العراق ، ط١، ٢٠١٥م، ص٢٢٣.

[٢] - المرجع السابق ، ص ٣٧، ٤٣

[٣] - الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، مرجع سابق، ص٦٦.

بعض المثالب فقال: إني والله ما أقول، إنّي لأحسنها ولكن أدعها تحرّجا، ولكن والله إن علّمنيها الله قطّ"[١].

- أشار الجاحظ إلى إنسانية الحكام المسلمين في التعامل مع ذوي الإعاقات والعاهات ، ومراعاة ظروفهم وحالاتهم، فروى أن : " سلمان بن ربيعة الباهلي رحل من البصرة إلى عمر بن الخطّاب فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي رجل أعرج، ولا قوّة لي على المشي إلى المسجد. فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص: أن أقطعه أقرب المواضع إلى المسجد. وكلّم سعد سعيد بن قيس فقال له: يا أبا عبد الرحمن، هذا رجل زمِن، فتحوّل عن دارك وأعطيك مثلها. فتحوّل عنها سعيد ونزلها سلمان، ووفي له سعد بالذي قاله... بينما عمر بن الخطاب جالسا إذ أقبل أعرج يقود ناقة تظلع ..... وشكا عرج رجله وظلع ناقته(أي اعوجاج مشيتها)، فقبض عمر الناقة وحمله على جمل وزوّده"[٢].

- أثنى الجاحظ على الذين يتواءمون مع عاهاتهم، فيقرون بإعاقتهم ويرضون بها ، واستشهد على ذلك بقول بعض الشعراء مثل قول أبي راشد الضّبّي " وكان أعرج ثم عمي، ثم أقعد من رجله، وقد كان ابن حبيب وهب له عصا حين عرج، وكان يمشي عليها فقال:

وهبت عصا العرجان عونا ومرفقا فأين عصا العميان يا ابن حبيب

فقد صرت أعمى بعد أن كنت أعرجا أنوء على عود أصمّ صليب

فلمّا صار أعرج أعمى لم يتعاط المشي، فلما طال قعوده أقعد من رجليه، فقال:

أرى كلّ داء فيه للقوم حيلة وداؤك مسمور الرّتاج عسير

فصبرا فإن الصبر أجدى مغبّة عليك، وأنواع البلاء كثير[٣]

ويمكن أن نخلص إلى أن الجاحظ "قد اتبع المنهج النفسي الاجتماعي والإنساني ، والعلمي العلاجي في حديثه عن أصحاب العاهات ونظرة المجتمع إليهم ، فهو أسس في هذا الكتاب فلسفة مغايرة لفلسفة (الجمال والقبح) وفق وعي أدبي وفكري يمكن تأمله لتكوين معرفة جديدة لم تعرفها ثقافتنا العربية من قبل، وهي معرفة ينتجها الجاحظ قارئًا ، وفق المفهوم البنيوي لدور القارئ الذي يؤكد " أن القراء يكوِّنون المعنى ، أكثر من كونهم ببساطة يستقبلونه"[٤] ، فقد جعل الجاحظ من البَرَص مظهرًاجماليًا ، وجعل من الأعمى والأعرج شخصين قادرين على إدارة شؤونهما وتدبيرها ، بل قادرين على تسلم السيادة بين أقوامهم "[٥] ، واستشهد على ذلك بقوله : "وسأنشدك إن شاء الله بعض ما افتخر به الأعمى، واحتجّ به الأعرج، قبل أن تصير إلى قراءة الجميع، لأعجّل عليك معرفة الجملة من مذاهبهم. وبالله التوفيق.

فمن العرجان: أبو الدّهماء، وهو الذي عيّرته امرأته بالعرج فقال:

ما ضرّ فارسهم في كلّ ملحمةٍ تزحّف العُرج بين السّجف والنَضد

إن كان ليس بمرقالٍ إذا نزلوا ففي الفروسةِ وثاب على الأسد

وخطب الطائيّ الأعرج امرأة فشكت عرجه إلى جاراتها، فأنشأ يقول:

تشكي إلى جاراتها وتعيبني فقالت: معاذ الله أنكح ذا الرّجلِ

---

[١] - المرجع السابق ، ص١١١، ١٣٧، ٢٩٢، ويُنظر : : مصطفى سامي نافع الكبيسي ، منهجية الجاحظ وموارده في كتابه البرصان والعرجان والعُميان والحُولان، مرجع سابق ، ص ٢٢٧.

[٢] - الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، مرجع سابق ، ص ٣٢٢، ٣٣٨، ويُنظر: عباس عباس ، الجاحظ وذوو الاحتياجات الخاصة كتاب (البرصان والعرجان والعميان) دراسة وتحليل، مرجع سابق.

[٣] - الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، مرجع سابق، ص ٤٠، ٤١، ١٩٥.

[٤] - شاكر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ، عالم المعرفة ، الكويت، ع٢٦٧، ص٦٣.

[٥] - عباس عباس ، الجاحظ وذوو الاحتياجات الخاصة كتاب (البرصان والعرجان والعميان) دراسة وتحليل، مرجع سابق.

فكم من صحيح لو يوازن بيننا لكنّا سواء أو لمال به حملى"[١]

فهذه الشواهد تدل على أن الإعاقة لم تمنع هؤلاء من ممارسة أعمالهم بل يتفوقون على غيرهم من الأصحاء.

بعد ما عرضناه، فإن كتاب (البرصان والعرجان والعميان والحولان) للجاحظ يعد كتابًا متفردًا في التراث العربي في موضوعه، ومنهجه ، وأثر فيمن كتبوا بعده في موضوع ذوي العاهات، فنهجوا نهجا حضاريا وإنسانيا في التعامل مع ذوي الهمم، والكتابة عنهم لذا يعد كتابه رائدا في موضوعه، ويحمل رسالة إنسانية حضارية تنويرية .

وألف الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ) كتابا عن " العميان " لم يصل إلينا في الوقت الحاضر، ولكن صلاح الدين الصفدي (٦٩٦- ٧٦٤ هـ) ذكره منسوبا إلى الخطيب البغدادي في مقدمة كتابه " نكت الهميان في نكت العميان " ، وأشار إلى أنه لم يطلع عليه[٢].

و كتب جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ) صاحب تفسير الكشاف، رسالة عنوانها " تسلية الضرير " ، في تعزية من كُفّ بصره، وتسليته بما عوضه الله من نور البصيرة، وثواب الله المرجو لكل من فقد بصره، وذكر المشاهير من الصحابة والتابعين والفقهاء والعلماء والشعراء والأدباء الذين فقدوا أبصارهم في التراث العربي، ليكون في ذكرهم، وسرد أعمالهم العظيمة تسلية لمن فقد بصره[٣].

وأصيب أبو سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون الشافعي الموصلي (المتوفى سنة ٥٨٥هـ) بالعمى قبل وفاته بعشر سنين، فألف رسالة عنوانها " رسالة في قضاء الأعمى وجوازه "[٤].

وكتب محمد بن علي بن الخضر الغساني المالقي المعروف بابن عسكر (ت ٦٣٦ هـ) رسالة في تسلية من فقد بصره، وسماها : " الجزء المختصر في السلوّ عن ذهاب البصر"، وأهداها للواعظ الضرير أبي محمد بن الأحوص[٥].

وألف القاضي شهاب الدين محمد بن أحمد الخُوِيي الشافعي (ت ٦٩٣ هـ) كتابا بعنوان " المطلب الأسنى في إمامة الأعمى "[٦] .

- **الصفدي وكتابه " نَكْت الهمْيان فى نُكَت العُميان " :**

ألف أبو الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصَّفَدي (٦٩٦- ٧٦٤هـ) كتابين كبيرين عن صنفين من ذوي العاهات البصرية الذين بلغوا مراتب الشرف والنباهة والسيادة في مجالات العلم والفقه والإبداع الشعري والنثري، وهما : " نَكت الهِميان في نُكت العُميان " ، و " الشُّعور بالعُور "، ويعدان أهمّ ما ألفا في موضوعهما في التراث العربي .

يذكر الصفدي في مقدمة كتابه " نكت الهميان في نكت العميان " المؤلفين السابقين الذين كتبوا في هذا الموضوع، وذكر أسماء كتبهم الذين أشاروا فيها إلى العميان والمكافيف، كابن قتيبة في كتابه

---

[١] - الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، مرجع سابق، ص ٤٤، ٤٥.

[٢] - الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق أحمد زكي، المطبعة الجمالية، القاهرة، ١٣٢٩هـ ، ١٩١١م، ص ٥

[٣] - الزمخشري، تسلية الضرير، تحقيق عبد السلام الهمالي سعود، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م، مجلد ٥٢، عدد ١، ٢ ، ص ٦٩ – ٩٠ .

[٤] - يراجع : حاجي خليفة، كشف الظنون ، ١/ ٨٨٣ ، وخير الدين الزركلي، الأعلام، ٤ / ١٢٤ .

[٥] - يراجع : حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٨٢٨، والزركلي، الأعلام، ٦/ ٢٨١ .

[٦] - يراجع : حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢ / ١٧١٩ .

المعارف، وابن بابه في كتابه رأس مال النديم، وابن الجوزي في كتابه تلقيح فهوم الأثر في عيون التوايخ والسير، وكتاب الخطيب البغدادي عن العميان، ونقل ما ذكروه في فصولهم الموجزة[١].

وذكر الصفدي أن بعض أصحابه طلب منه تخصيص كتاب مفرد في الترجمة للعميان، وذكر أخبارهم في التراث العربي، فأجابهم إلى ذلك، وألف الكتاب المطلوب، وسماه " نكت الهميان في نكت العميان "[٢].

وبدأ الصفدي كتابه بذكر المعنى اللغوي للعمى، واشتقاق جذره اللغوي(ع م ي)، وما يتعلق به من جهة التصريف والإعراب، ثم فصولا في ذكاء العميان، ونوادرهم، والأحكام الفقهية المتعلقة بهم في البيع، والشراء، والزواج، والطلاق، والشهادة، والقضاء، وفي أشعارهم، وإبداعاتهم[٣].

يبدي الصفدي إعجابه بذكاء العميان، ونشاطهم، وتميزهم بالحفظ، والتحصيل والدأب، ويبدي رأيه في تعليل نشاطهم الموفور وقدراتهم الخاصة، فيقول : " قلّ أن وُجِد أعمى بليدا، ولا يُرَى أعمى إلا وهو ذكيّ... والسبب الذي أراه في ذلك ، أن ذهن الأعمى وفكره يجتمع عليه، ولا يعود متشعبا بما يراه، ونحن نرى الإنسان إذا أراد أن يتذكر شيئا نسيه، أغمض عينه وفكر، فيقع على ما شرد من حافظته . وفي المثل : أحفظُ من العُميان "[٤] .

جمع الصفدي في كتابه تراجم لثلاثمائة وعشرة (٣١٠) من مشاهير العميان في التراث العربي (الصحابة ، والتابعين، والخلفاء، والأمراء، والوزراء، والفقهاء، والمحدثين، والشعراء)على حروف الهجاء، فبدأ بترجمة " إبراهيم بن إسحاق البارع " ، وأنهى الكتاب بترجمة " يونس بن ميسرة الجبلاني الأعمى "[٥]، وتراجمه وأخباره الواردة في كتابه خير دليل على أن الإعاقة البصرية لم تمنع أصحابها من العمل، وطلب العلم، والاجتهاد للوصول إلى المراتب العالية في الشرف، والحكم، والعلم، والأدب .

ويورد الصفدي كثيرا من أخبار العميان، ونوادرهم، وإبداعاتهم الأدبية والشعرية، وكتبهم ومؤلفاتهم، وأعاجيب أفعالهم . من ذلك ما ذكره في أخبار زين الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن الخضر الحنبلي الآمدي العابر (المتوفى سنة ٧١٢ هـ) الذي كان له مزايا عجيبة، منها أنه المبتكر الأول لطريقة كتابة العميان المعروفة بطريقة برايل ، فيروي الصفدي أنه كان " يعرف أثمان جميع كتبه التي اقتناها بالشراء ، وذلك أنه كان إذا اشترى كتابا بشيء معلوم أخذ قطعة ورق خفيفة وفتل منها فتيلة لطيفة ، وصنعها حرفا أو أكثر من حروف الهجاء لعدد ثمن الكتاب بحساب الجُمَّل، ثم يلصق ذلك على طرف جلد الكتاب من داخله، ويلصق فوقه ورقة بقدره لتتأبَّد، فإذا شذّ عن ذهنه كمية ثمن كتاب ما مِن كتبه، مسّ الموضع الذي عَلَّمه في ذلك الكتاب بيده، فيعرف ثمنه من تنبيت العدد الملصق فيه "[٦] .

---

[١] - الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق أحمد زكي، المطبعة الجمالية، القاهرة، ١٣٢٩هـ ، ١٩١١م، ص ٢ ــ ٥
[٢] - المرجع السابق، ص ٥ .
[٣] - الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان : ص ١- ٨٣ .
[٤] - المرجع السابق : ص ٨٣ .
[٥] - نفسه : ص ٨٧ ــ ٣١٦
[٦] - نفسه : ص ٢٠٧، ٢٠٨ .

- **الصفدي وكتابه " الشعور بالعور ":**

يعد كتاب " الشُّعور بالعور " استكمالا لمشروع الصفدي في الاهتمام بذوي الإعاقة البصرية، والكتابة عنهم، وبيان مآثرهم، والتعريف بقدراتهم الخاصة، وإنجازاتهم العلمية، والإبداعية، والحياتية . فترجم في هذا الكتاب لواحد وثمانين (٨١) من فضلاء العوران في التراث العربي من العلماء، والفقهاء، والأدباء، والشعراء، والقرّاء، والمحدّثين . يقول الصفدي في مقدمة الكتاب : " لما أعان الله بلطفه، ومنَّ ويسَّر أسباب فضله ... وأكملت تصنيفي الذي وسمته بنكت الهميان في نكت العميان، تُقْتُ إلى أن أردف ذلك بمصنَّف آخر أقتصر فيه على ذكر العُور، ومن جاء منهم في الزمن السالف وهو مشهور... واستعنتُ بالله على جمع شيء في هذه المادة، وجعلت ذلك مصنفا برأسه من كل فن مارسته بأمراسه، وسمّيته كتاب الشُّعور بالعُور "[١].

قسم الصفدي كتابه إلى ست مقدمات ونتيجة، تناول في المقدمات الست معنى العور في اللغة، وما يتعلق به من التصريف والإعراب، وما يتعلق بحديث الدجال لكونه أعور، وفيما له علاقة بالأعور من الأمور الفقهية، وفيما جاء من الأمثال والنوادر في حق الأعور، وفيما جاء من الشعر في العور والعوران، ثم النتيجة في سرد من كان أعور على حروف المعجم، بدأ بترجمة فقيه العراق التابعي إبراهيم بن يزيد النخعي (المتوفى سنة ٩٦ هـ) ، وانتهى الكتاب بترجمة القاضي يوسف بن محمد بن عبيد الله كاتب الإنشاء في العصر المملوكي (المتوفى سنة ٧٤١ هـ)[٢].

ولكتابي الصفدي (نكت الهميان في نكت العميان، والشعور بالعور) فوائد لغوية، وفقهية، وتاريخية، وأدبية، وحضارية مهمة، بالإضافة إلى ريادتهما في التخصص في الكتابة الموسعة عن ذوي الإعاقة البصرية في التراث العربي من النواحي اللغوية، الفقهية، والتاريخية، والاجتماعية، والنفسية المتنوعة .

وألف ابن المبرد (ت ٩٠٩ هـ) " كتابا في ذوي الهمم من المحدّثين سماه " الضبط والتبيين لذوي العِلل والعاهات من المحدّثين " ، ذكر فيه أصحاب العاهات من المحدثين، ورتبه على حروف المعجم[٣].

- **محب الدين الهاشمي وكتابه (النكت الظراف في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف)**

وفي القرن العاشر الهجري ألَّف محب الدين أبو الفضل محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد المكي الهاشمي (٨٩١ - ٩٥٤ هـ) كتابا عن ذوي الهمم الذين بلغوا مراتب الشرف والسيادة بعنوان " النُّكت الظِّراف في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف " .

جمع محب الدين المكي الهاشمي في كتابه أخبار من أصيب بعاهة من العاهات من المشهورين في مجالات العلم، والفقه، و الأدب، والسياسة، وقصد من أخبار كتابه ونصوصه المتنوعة أن يجعل من ذكرهم موعظة وتسلية لمن أصيب بمثلها حتى يقوّي صبره على تحمل بليَّته، فذكر منهم بعض

---

[١] - الصفدي، الشعور بالعور، تحقيق عبد الرزاق حسين، دار عمار، الأردن، ط١، ١٩٨٨، ص ٣٩، ٤٠ .
[٢] - المرجع السابق : ص ٣٩ - ٢٤٣ .
[٣] - يراجع : يوسف العش، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : التاريخ وملحقاته، ص ٢٤٧ .

الأنبياء، وبعض الصحابة والتابعين، وكثيرا من أهل السلطة، والعلماء المشهورين السابقين والمعاصرين له، وقال في سبب تأليف كتابه : " سببه أنني اجتمعت ببعض الأعيان، وأحد فضلاء الزمان، وذكرنا الماضين من العميان والعوران والقرحان والصلعان، ممن حصل له ذلك من الأعيان، فتشوقت نفسي لجمعه خصوصات بعض علماء الخنفية ذكره في وضعه، قلا يظن بذلك الظانون، ما يعتقده الجاهلون من ذوي العقول السخاف بأنه سلب للأشراف، وذلك منهم غيبة وإلباس، ووقيعة في أكابر الناس، بل والله العظيم قصدت بتأليفه الإيقاظ، وتسلية من ابتلي به والاتعاظ لمن حصل له الابتلاء من الأكابر في الزمن الغابر، واقتديت في فعل ذلك بمن سبقني من العلماء لهذا الطريق السالك ... ولا شك في أن المصنفين الذين ألفوا في هذا المعنى لم يقصدوا العيب، وإنما قصدوا العلم والإحاطة لمن اتفق له ذلك من الأعيان، وإفادته لمن بعده الاعتبار والاتعاظ كما نقله العلماء الأيقاظ"[١].

قسم محب الدين المكي كتابه " النكت الظِّراف في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف " إلى مقدمة ، وبابين، وخاتمة .

- تضمنت المقدمة الأحاديث النبوية والأخبار الواردة في ذوي العاهات مع نظم الأشعار .
- واشتمل الباب الأول على ذكر ذوي العاهات مجملا، وبيان الأشراف منهم مفصلا .
- وخصص الباب الثاني للحادث لهم المرض كالعمى، والعُور، والصُّلع، والعُرج، وغير ذلك من المرض .
- وختم الكتاب في الآثار الواردة في الأجر والثواب الذي يفوز به من أصيب بعاهة من العاهات[٢].

وألف الشيخ أبو الحسن علي بن سلطان محمد المُلّا القاري الهروي المكي الحنفي (ت ١٠١٤ هـ) كتابا عنوانه " تسلية الأعمى عن بلية العَمَى " ، جمع فيه مؤلفه أكثر من خمسين حديثا نبويا في تسلية الأعمى عن فقد عينيه، مع شرحها، وتخريجها، وبيان الفوائد الدينية والدنيوية التي تشتمل عليها هذه الأحاديث النبوية الشريفة[٣].

هذا ما انتهى إليه علم الباحثَين - في هذه الدراسة الموجزة- مما كتب عن ذوي الهمم (ذوي الإعاقة) في التراث العربي، من الكتب المفردة لهذا الموضوع، أو من الفصول المضمنة في الكتب الموسوعية، والموضوع يحتاج إلى جمع واستقراء موسع في فهارس المخطوطات العربية لإنجاز كتاب موسع حول هذا الموضوع الحيوي الذي يثبت ثراء تراثنا العربي، واهتمامه بذوي الهمم، ورقي التعامل معهم .

---

[١] - محمد بن عبد العزيز الهاشمي، النكت الظراف في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف، تحقيق لمياء أحمد عبد الله، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١٤ ، ص ١٢، ٣٠ .

[٢] - المرجع السابق : ص ١١ – ٩٧ .

[٣] - الملا علي بن سلطان القاري ، تسلية الأعمى عن بلية العمى، تحقيق عبد الكريم العمري، دار البخاري، المدينة المنورة، ط١ ، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م .

الخاتمة

أثبت هذا البحث رقي التعامل مع ذوي الهمم في الحضارة المصرية القديمة، وفي التراث العربي والإسلامي . ورأينا اهتمام النصوص القرآنية والنبوية بأحوال ذوي الهمم، والدعوة إلى الرفق بهم، وحسن معاملتهم، بما يتفق مع مبادئ الاتفاقيات الدولية لحقوق ذوي الهمم (الإعاقة) .

وتجلى اهتمام التراث العربي بذوي الهمم في تأليف كتب كثيرة تخصصت في الحديث عن أخبار ذوي الهمم، وأحوالهم، والمكانة العالية التي وصلوا إليها في مناحي الحياة كلها، والإنجازات التي حققوها في المجالات العلمية، والدينية، والإبداعية . وقد بدأ هذا الاتجاه التأليفي في الكتابة عن ذوي الهمم في التراث العربي منذ أواخر القرن الثاني الهجري في كتاب "المثالب" للهيثم بن عدي (ت ٢٠٧ هـ)، وتبعه عدد كبير من الكتب في هذا المجال، كان أشهرها وأكبرها كتاب " البرصان والعرجان والحولان والعميان " للجاحظ (١٥٩- ٢٥٥هـ)، الذي يعد كتابا متفردا في دراسة ذوي الهمم، وسرد أخبارهم، وبيان مواطن الفائدة والاعتبار في أفعالهم وأقوالهم، والتنويه بقدراتهم الخاصة وعزائمهم القوية التي وصلت بهم إلى المكانة العالية في كل المجالات مع ابتلائهم بإعاقات متنوعة .

وأثر كتاب الجاحظ فيمن جاء بعده من المؤلفين وعلى رأسهم صلاح الدين الصفدي (٦٩٦ – ٧٦٤ هـ) الذي خصص كتابين كبيرين في الحديث عن ذوي الإعاقة البصرية، وهما : نكت الهميان في نكت العميان، والشعور بالعور . ولهذه الكتب فوائد لغوية، وأدبية، وتاريخية، واجتماعية مهمة، تلقي الضوء على المعاملة الراقية التي حظي بها ذوو الهمم في التراث العربي .

المراجع

١- أحمد شوكت الشطي، المدارس والمشافي الطبية في الإسلام، مجلة حضارة الإسلام، مجلد ١٨، عدد ١، دمشق، ١٩٧٧ .

٢- أحمد بن علي بن بابه القاشي، رأسمال النديم في تواريخ أعيان أهل الإسلام، تحقيق د محمد عبد القادر خريسات، مركز زايد للتراث، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠١ .

٣- أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١١.

٤- بديع عبد العزيز القشاعلة، الأساس في التربية الخاصة، دار الهدى، الأردن، ٢٠١٧ .

٥- بلقاسم محمد الغالي، الإعاقة في منظور الإسلام، المؤتمر العلمي الرابع : رعاية الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة، كلية الشريعة، جامعة جرش، الأردن، ٢٠٠٢.

٦- الجاحظ، البرصان والعرجان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩٠ .

٧- حاجي خليفة، كشف الظنون ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩ .

٨- الخوارزمي (أبو بكر محمد بن العباس)، مفيد العلوم ومبيد الهموم، دار التقدم، القاهرة، ١٣٢٣هـ ، ١٩٠٦م.

٩- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢ .

١٠- الزمخشري، تسلية الضرير، تحقيق عبد السلام الهمالي سعود، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ٥٢، عدد ١، ٢ ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

١١- سلوى حسين محمد، الجروتيسك في العصرين اليوناني والروماني، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٢ .

١٢- الصفدي، الشعور بالعور، تحقيق عبد الرزاق حسين، دار عمار، الأردن، ط١، ١٩٨٨.

١٣- الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق أحمد زكي باشا ، المطبعة الجمالية، القاهرة، ١٣٢٩هـ ، ١٩١١م .

١٤- عباس عباس ، الجاحظ وذوو الاحتياجات الخاصة كتاب (البرصان والعرجان والعميان) دراسة وتحليل ، الجامعة العربية المفتوحة ، الأردن، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد٤٩، ع٥، ٢٠٢٢م.

١٥- عبد الرحمن بن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير، تصحيح علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م.

١٦- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٢١.

١٧- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧.

١٨- ماجدة السيد جاد، العمَى : مفهومه الاجتماعي والديني في مصر القديمة، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٣ .

١٩- ماهر أحمد راتب السوسي، ومحمد كمال صابر السوسي، حقوق الجرحى وذوي الإعاقة في الشريعة الإسلامية، مؤتمر فلسطين للجرحى وذوي الإعاقة، الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية بغزة، ٢٠١٦.

٢٠- محمد إسماعيل الشافعي، العيوب الخلقية للأفراد في الفن المصري القديم حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير مخطوطة ،كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٨.

٢١- محمد بن حبيب البغدادي (أبو جعفر) ، المُحَبَّر، تصحيح إيلزا شتيتر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٤٢.

٢٢- محمد بن غالب الأندلسي، فرحة الأنفس في فضلاء العمي من علماء الأندلس، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الأول ، رمضان ١٣٧٤هـ ، مايو ، ١٩٥٥.

٢٣- محمد بن عبد العزيز الهاشمي، النكت الظراف في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف، تحقيق لمياء أحمد عبد الله، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١٤.

٢٤- مصطفى سامي نافع الكبيسي ، منهجية الجاحظ وموارده في كتابه البرصان والعرجان والعُميان والحُولان ، دائرة البحوث والدراسات ، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة (٢٥٤) ، العراق ، ط١، ٢٠١٥م.
٢٥- الملا علي بن سلطان القاري ، تسلية الأعمى عن بلية العمى، تحقيق عبد الكريم العمري، دار البخاري، المدينة المنورة، ط١ ، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م .
٢٦- مهند العزة، موقف الشريعة الإسلامية من الأشخاص ذوي الإعاقة، المؤتمر العلمي : المتلازمات النادرة المرتبطة بالإعاقة، مجلة المنال، الأردن، ١ / ٧ / ٢٠١٩ (موقع المجلة على النت) .
٢٧- الهيثم بن عدي، كتاب المثالب، تحقيق عصام مصطفى عقلة، ومحمد عبد القادر خريسات، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، مجلد ٤، عدد ٣، ٢٠١٠.
٢٨- يوسف العش، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : التاريخ وملحقاته، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، سورية، ط١، ١٣٦٦هـ .

المراجع المترجمة :

٢٩- فرونيك ديزين، الأقزام في مصر القديمة وبلاد اليونان، ترجمة د أحمد هلال يس، دار شرقيات، القاهرة ، ٢٠٠٣ .

المراجع الأجنبية :

Simpson, W.K., The Literature of Ancient Egypt: An Anthology of Stories, Instructions, Stelae, Autobiographies, and Poetry, Yale University 2003.

Writing about people of determination in the Arab heritage

By

Dr. Amani Hassan Shalaghany

PhD researcher in Arabic Language, Faculty of Arts, Tanta University

Dr. Osama Mohammed Al-Buhairi

Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tanta University

Abstract:

The United Nations adopted the Convention on the Rights of Persons with Disabilities (People of Determination) on December 13, 2006, and it included the promotion, protection and guarantee of full enjoyment by persons with disabilities on an equal basis with others of all human rights and fundamental freedoms, and the promotion of respect for their inherent dignity.

The term “persons with disabilities” includes all those who suffer from long-term physical, mental, intellectual or sensory impairments that, when dealing with barriers, may prevent them from participating fully and effectively in society on an equal basis with others.

Our Arab heritage was a pioneer in caring for people of determination (those with disabilities and special needs), writing about them, monitoring their conditions and suffering, mentioning their virtues and distinction in the various aspects of life, and the arrival of some of them to the peaks of glory, honor and sovereignty. Many books were devoted to writing about people of determination of different types and the diversity of their disabilities, so “Abu Abd al-Rahman al-Haytham bin Uday bin Abd al-

Rahman al-Ta’i al-Kufi” (d. , and Al-Arjan, and Abu Jaafar Muhammad bin Habib Al-Hashemi Al-Baghdadi (d. 245 AH) devoted a chapter in His book “Al-Muhbaran” on the nobles of people of determination (disabilities), and Al-Jahiz Abu Uthman Amr bin Bahr (159-255 AH) authored his famous book “Al-Bursan, the Lame, the Blind, and the Two-Hoolan” to talk about people of determination and special needs, and Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Qutayba Qutaybah spoke Al-Dinuri (213-276 AH) on the authority of people of determination (people with disabilities) such as leprosy, lameness, deafness, stumbling, leprosy, strabismus, and baldness in a special chapter in his famous book “Al-Ma’arif”, and the historian Abu Al-Faraj Abd Al-Rahman Bin Al-Jawzi (510-597 AH) indicated) to the nobles of people of determination and various disabilities in his book " Pollination of the understanding of the people of athar in the eyes of history and biographies.” Abu al-Safa Salah al-Din Khalil bin Aybak bin Abdullah al-Safadi (696-764 AH) wrote two books about two types of people with visual impairments who reached the ranks of honor, intelligence, and sovereignty: “The Jokes of the Humious in the Jokes of the Blind,” and “Feeling naked.” In the tenth century AH, Muhib al-Din Muhammad ibn Abd al-Aziz al-Hashimi al-Makki (d. 954 AH) wrote a book about people of determination who had reached the ranks of honor and sovereignty, entitled “The cute jokes in admonishing the people with disabilities among the nobles.” Among the books written about people of determination in the Arab heritage, the book (Al-Barsan, Al-Arjan, Al-Amian, and Al-Holan) by Al-Jahiz (159-255 AH) is distinguished by studying people of determination with a great

deal of glorification, appreciation and respect, and mentioning them in a clear and bright image, and that their disability did not prevent them from sovereignty and access He paved the way for this by listing evidence and relics from the literature of the ancient Arabs and his contemporaries, in taking pride in some disabilities, defending them, and sometimes ascending to be proud of them and praising their virtues. This study attempts to reveal the status of this book among other books that dealt with people with disabilities and people of determination.

Those who have reached the ranks of honor and supremacy, under the title "The cute jokes in admonishing the people with disabilities among the nobles."

Among the books written about people of determination in the Arab heritage, the book (Al-Barsan, Al-Arjan, Al-Amian, and Al-Holan) by Al-Jahiz (159-255 AH) is distinguished by studying people of determination with a great deal of glorification, appreciation and respect, and mentioning them in a clear and bright image, and that their disability did not prevent them from sovereignty and access summits, and he paved the way for that by listing evidence and relics from the literature of the ancient Arabs and his contemporaries, in taking pride in some Disabilities, defending them, sometimes ascending to be proud of them and praising their virtues, and mentioning many details of the types of disabilities and disabilities they have, and addressing those who slandered them or underestimated them and robbed them of their rights. This study attempts to reveal the status of this book among other books that dealt with people with disabilities, disabilities, and people of

determination in the Arab literary heritage. A unique book in the Arab cultural heritage, and an encyclopedia in its chapter, in which he mentioned all kinds of disabilities, the virtues of their owners, and the high position they reached with their disabilities and sufferings in their lives, which is not mentioned in other books.

This study is concerned with clarifying Al-Jahiz's methodology in his book (Al-Barsan, Al-Arjan, Al-Amian, and Al-Holan), and its human, social and cultural value, to do justice to people of determination and people with disabilities, and restore their consideration in society. ; Therefore, Al-Jahiz's book (159-255 AH) on people of determination is considered a pioneering human and civilized message in the Arab heritage, and influenced the books that were written after him in the following centuries.

Keywords: writing about people of determination; Arab heritage; People of determination.